النحت العربي في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) قبل الاسلام

الأستاذ المساعد

عبد الشهيد مصطفى النداوي

المقدمة

قد تعترض الباحث في موضوع الفن قبل الإسلام وتحديداً " فن النحت " صعوبات عدة وذلك لقلة المصادر التي يمكن إعتمادها في إعطاء صورة حقيقية للمآثر التي حققها العرب في كافة ميادين العمارة والفنون الصغرى والتي تشتمل على الموسيقى والغناء والرقص التي أوجد الفنان من خلالها انسجاماً و تفاعلاً فريداً في ضروب الفنون المختلفة.

إن لحجم الدمار الذي لحق بهذه الحضارة التي هدمت قصورها، وقوضت معابدها، وشوهت رسومها ونقوشها السبب الأساس في ضياع تراث هام من الحضارة الإنسانية في تلك الحقبة التاريخية، وبالرغم من فقدان الجزء الأعظم من التراث العربي إلا أن الفن قبل الإسلام قد شهد عصراً ذهبياً كشفت عنه أطلال هذه الحضارة من خرائب القصور ومعابد قرى صروح ومآرب وغيرها من المدن، وما عثر من تماثيل وشواخص القبور وآثار زخرفية وزجاجية ونقود وأحجار كريمة وحلي، فضلاً عن المؤلفات والمخطوطات التي كتبها الهمداني والإكليل منها بخاصة، كل تلك المكتشفات ساعدت على إعطاء صورة قريبة عن الفن في تلك الفترة .

لقد نشأ الفن قبل الإسلام بمئات السنين، وتطور على مر الزمن ماراً بمراحل متفاوتة مع تطور القوى المنتجة والأوضاع الاجتماعية والثقافية، وبلغ مستوى متقدماً في اليمن الجنوبية و بخاصة في بناء القصور والمعابد والسدود التي توزعت في أغلب مدنهم. وتشير الدراسات التي قام بها الباحثين على بعض المكتشفات الأثرية إلى أن السمات الفنية للعمارة في اليمن قد تأثرت بالعمارة العربية في العراق وسورية وذلك بحكم العلاقات التجارية والحضارية بين عرب الجزيرة ومن حولهم خلال التأريخ القديم، مما يعزز الرأي في وجود ملامح معمارية مشتركة في مراكز الجزيرة العربية.

وفي ضوء ذلك يرى الباحث ضرورة إعطاء لمحة تاريخية عن الفن قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية عامة وإعتبارها مدخل لدرا سة الأعمال النحتية في اليمن الجنوبية، خاصة وإن معظم هذه النتاجات موضوع الدراسة قد وجدت بهيئة ألواح أو أشرطة بالنحت البارز تزين تلك الأبنية أو كتماثيل زينت القاعات والأزقة، وهذا سيعين في تحليل هذه الأعمال لتلك الحقبة التاريخية.

ممالك جنوب الجزيرة العربية(اليمن)

يحدثنا كتاب (الأكليل) لأبي محمد الهمذاني عما شهده في قصور اليمن وهياكلها من الروعة والبهاء، كما تذكر التوراة بالإعجاب تلك الجنات الخالدة. ولكن أول من استطاع الكشف عن حقيقة تلك البلاد هو "نيبوهر" الدانماركي عام ١٩٦٢ الذي نشر أول كتاب عن آثار اليمن، الذي توالت على أثره البعثات الاستكشافية التي جمعت عدداً كبيراً من النقوش التي كتبت بخط المسند، والتي أبانت حقيقة الحضارة في تلك المنطقة.

وقد قامت في جنوب الجزيرة العربية عدة ممالك متحضرة عاشت في فترات متداخلة ومتعاقبة في اليمن هي: معين، سبأ، حضرموت، وقتبان، وحمير، فضلاً عن دويلات أخرى لم تترك أثراً هاماً في حياة العرب. ويؤكد الباحثون أن هذه الممالك كانت على اتصال بالبابليين والآشوريين والعموريين في بلاد الرافدين، كما كانت على اتصال بالكنعانيين في فلسطين وكذلك مصر والشام والحبشة.

وفيما يلي وصف لأهم هذه الممالك وحسب تسلسلها التاريخي:

١. مملكة معين

أختلف علماء الآثار والمؤرخون في تحديد تأريخ هذه المملكة، وفي تحديد التسلسل الزمني بالاعتماد على النقوش المعينية والسبئية الواردةفي التوراة والروايات والأخبار في المصادر الإغريقية والرومانية. وقد حدد المؤرخون

"معين" كأول مملكة ازدهرت في جنوب اليمن في حوالي (١٢٠٠-١٣٠٠) ق.م، وقد وردت كلمة معين في القرآن الكريم[١] وفي قواميس اللغة العربية بأنها صفة للماء " ماء معين " بمعنى " ماء جاري " أما في التوراة فقد ورد ذكر المعينيون بأس (المغونيون).

وقد أعتمد المعينيون في حياتهم على التجارة والزراعة وشاع صيتهم بين مختلف الممالك حيث مرت المملكة بفترة طويلة من الازدهار والرفاه الاقتصادي، الذي كشفت عنه الكتابات المدونة بخط المسند، وقد وردت معين في النقوش(بأسم " صدا " وبأسم " قرناو " أيضاً، ولكن الاسم الشائع بين البدو في الجوف وبين أهل اليمن كافة هو " معين ").

وقد تركت هذه المملكة نقوشاً وزخارف كانت في غاية الإبداع منها(ما رسم على حجر جرانيتي أحمر اللون يتخلله حبيبات بيضاء وهو الحجر السادس القائم على هيئة عمود شرق العريش، وهذا الحجر سليم ألا أنه يوجد به شظف بسيط في طرفه الأعلى من واجهته اليسرى وقد شوه بفعل السكان المحليين ومن احتكاك الجمال فيه، واشكال هذه الزخارف كانت بين هندسية وحيوانية مضافاً إليها بعض الأدوات الحربية).

ونقوش معين الكتابية بوجه عام كانت محفورة غاية في الدقة والإبداع، حيث كانت أحجام الحروف في كل نقش متساوية، والمسافات بينها متساوية في دقة واضحة، وعمق الحفر موحد غالباً بمقدار ٤ مليمترات. أما النقوش فالحفر فيها بسيط ويبدو كلمخربشكات، عمق الحفر في هذه النقوش يتراوح ما بين مليمتر ومليمترين.

أما عن آثارهم العمرانية فقد كشفت هندسة معابدهم المبنية من الجرانيت عن وجود "زخارف على مداخلها الجرانيتية تضع الحضارة المعينية في مركز

عال، وترغمنا على مقارنة حضارة بلاد العرب الجنوبية بالحضارات العظيمة الأخرى في الشرق كمصر وبلاد الرافدين"[٢].

٢. مملكة قتبان

وهي مملكة عاصرت مملكتي " سبأ " و " معين " وذهب المستشرق " هومل " Hommel إلى أنها حددت في الألف الأول قبل الميلاد. وكانت عاصمة القتبانيين مدينة " تمنع " أو تمنا الواقعة في وادي بيجان، وتعرف حالياً بأسم كحلان[٣]. وقد توصل القائمون على الحفريات إلى تحديد تأريخ قتبان إلى إنها ترجع إلى القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد.

يعد القرن الرابع وقبل حوالي ٣٥٠ سنة (ق.م) بداية ازدهار هذه المملكة حيث سيطرت قتبان على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء عدن إلى الشرق. هذا ما أكدته أغلب النصوص والنصب التذكارية. ويقول عن ذلك " بليني " أنه وجد في قتبان " خمسة وستين معبداً الأمر الذي يصور لنا مدى اتساعها "[٤].

وقد أفاد القتبانيون من موقع بلادهم الجغرافي بجوار باب المندب فأشتغلوا بالتجارة التي لعبت دوراً كبيراً في الازدهار الذي حققه القتبانيون، إلى جانب عنايتهم بالتجارة اهتموا في الزراعة فأقاموا مشاريع الري وقنوات للتحكم بمياه الأمطار.

وقد أسفرت الحفريات الأثرية عن كثير من " التحف المصنوعة من المعدن والخزف المتأثرة بالفن اليوناني كما عثر على عملات هيلينية ورومانية، الأمر الذي جعلنا نعتقد أن القتبانيين تأثروا بالحضارة الهيلينية والرومانية "[٥].

والظاهر ان مملكة قتبان قد انتهت سياسياً (بعد أن تعرضت لغزو من الخارج، حيث أشعلت النيران في المدينة نتيجة القتال المرير بين قتبان وحضرموت وذلك بين عام (١٠-٢٠) م)[٦]

٣. مملكة حضرموت

يرجع الباحثون ظهور مملكة حضرموت في عام (١٠٢٠) ق.م. وحضرموت منطقة مشهورة في الشرق الجنوبي من أرض اليمن. وقد جاءت هذه التسمية في التوراة من كلمة (حاضر ميت) أسماً لأحد أبناء يقطان. أما الهمذاني فيقول: " حضرموت من اليمن هي جزؤها الأصغر، نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر فغلب أسم ساكنها "[٧].

وترجع أهمية حضرموت قديماً إلى موقعها الجغرافي خاصة في المناطق التابعة لها، وطبيعة واديها الكبير حضرموت الذي يرى فيه " البرايت " (انه كان من أنسب مناطق الجزيرة العربية للإستيطان خلال العصر البرونزي، نظراً لاتساعه، وقرب مخزون المياه من سطحه، فضلاً عن تربته الغرينية التي أتاحت لساكنيه استنبات المحاصيل الزراعية الجيدة)[٨].

وقد جاءت حفريات هذه المملكة لتكشف عن بقايا المعبد المعروف بأسم " الحريضة" تزاول فيه الطقوس الدينية، وعن مذبحين القرابين. ويصف "البرايت" سور هذا المعبد (بأنه يشبه إلى حد كبير بناء " صرواح " في خولان. ويظهر البناء المعماري للمعبد تأثراً واضحاً بحضارة وادي الرافدين)[٩].

كما وكشفت التنقيبات(عن العديد من القطع النقدية فضلاً عن كتابات ونقوش كتبت من اليمين إلى الشمال على أبواب المدينة السبعة، كشفت عن طبيعة العلاقات السياسية بين حضرموت والدويلات المجاورة لها)[١٠].

٤. مملكة سبأ

تعد سبأ من أشهر الممالك العربية الجنوبية القديمة وأكثرها ذكراً في المؤلفات العربية والعبرانية. وأسم " سبأ " (كان يعني أسم قوم وأسم مملكتهم، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النمل، كما ورد أسم سبأ في التوراة بأنها بلاد تنتج الطيوب واللبان والأحجار الكريمة ومعدن الذهب)[١١].

ويكاد يجمع العلماء والباحثون بالأستناد إلى أقدم النقوش السبئية إلى أن هذه المدينة تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد اتخذت حاضرتهم الأولى " صرواح " عاصمتهم الأولى بين التلال الواقعة جنوب مأرب، وشيدوا فيها معبداً لآله (المقه) وهو معبد " أوام " الشهير بمحرم بلقيس، كما اقاموا في وادي " صرواح " سداً لتخزين مياه الأمطار. ثم ما لبثوا أن اهتموا بـ " مأرب " اتخذوها عاصمتهم الثانية. وهي ذات أسوار بأبراج ولها أربعة أبواب وميدان كبير في الوسط، وفيها قصور فخمة كالهجر والقشيب، وقصر غمدان الذي يقول عنه الهمذاني : انه كان مكوناً من عشرين سقفاً بعضها فوق بعض بين كل سقفين عشرة أذرع، وغرفته العليا مسقوفة برخامة واحدة شفافة، يدرك من خلالها طير السماء، وتطل من زواياه الأربعة تماثيل لأربعة أسود من النحاس المجوف إذا هبت الريح سمع لهم صوت كالزئير. وقد بنى هذا القصر في القرن الأول الميلادي تقريباً.

وقد عرف عن السبئيين بأنهم في الأصل من عرب الشمال نزحوا إلى اليمن، وقد دلت كتاباتهم على أصول الحكم في سبأ ومن آثار خرائبهم تم التعرف على فنونهم المختلفة. وقد خاض ملوك سبأ حروب الدفاع وأنشأوا أعمالاً عظيمة في فنون العمارة وهندسة المباني والحصون والهياكل الضخمة فقد عثر عرب المدينة على خرائب قصر ملوك سبأ المسمى " سلمن " الذي ورد ذكره في

الكتابات السبئية، كما أولوا أهتمامهم للشؤون الدينية، وأغلب النقوش التي خلفوها تعود إلى بدايات القرن التاسع قبل الميلاد. وقد كانت منحوتة نحتاً جميلاً بحروف هجائية(١٢).

وقد تم العثور على منحوتات وتماثيل بعضها من الرخام والبعض الآخر من البرونز تبدو فيها بعض التأثيرات الأغريقية، وعرفت هذه المملكة ومن الآثار المتبقية حضارة كبيرة في أنظمة الري وبناء السدود والقناطر وكانت معجزتهم بناء سد مأرب الذي يعد من أكبر الأعمال العمرانية في الجزيرة العربية والذي لاتزال بعض أجزاءه باقية حتى يومنا هذا.

وسد مأرب عبارة عن (جدار ضخم أقيم في عرض الوادي طوله ٨٠٠ وارتفاعه وعرضه بضع عشرة أذرع وقد بني من الحجارة الضخمة والتراب، وينتهي أعلاه بسطحين مائلين على شكل زاوية منفرجة تكسوهما طبقة من الجص تمنع أنجراف التراب عند تدفق المياه. ولقد بأنشاء السد في القرن الثامن قبل الميلاد وقد دام السد قروناً طويلة إلا إن اضطراب الدولة الحميرية وإهمالها له عجل بتصدعه وأنهياره، وعلى أثره تحولت الأرض الزراعية إلى أرض قفراء، الأمر الذي أدى إلى هجرات هامة نحو الشمال)(١٣).

٥. المملكة الحميرية

في حوالي (١١٥ ق.م) قامت مملكة صغيرة في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية وهي مملكة الحميريين التي قضت على دولة سبأ. ويكاد يتفق المؤرخون على أن عصر ملوك

" سبأ وذي ريدان " والعصر التالي له والمعروف بعصر ملوك " سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت " هما العصران اللذان برز فيهما الحميريين على

مسرح الأحداث في بلاد العرب الجنوبية. وقد اصطلحوا على هذين العصرين تسمية الدولتين الحميرية الاولى والثانية[١٤].

وكلمة حمير هي (كلمة أقسومية بمعنى عظيم وقد استعملها العرب الجنوبيين لتدل على نفس المعنى، واتخذوا من مدينة " ظفار " عاصمة لهم كانت تسمى (ريدان)، والعاصمة ظفار تقع على بعد مائة ميل من الشمال الشرقي من " مخا " وعلى الطريق المؤدية إلى صنعاء، ولاتزال آثارها فوق تل دائري الشكل بجوار بلدة يرم الحالية)[١٥].

وقد ورث الحميريون ثقافة المعينيين والسبئيين كما ورثوا تجارتهم، وبفضل قوتهم العسكرية فقد تمكنوا من صد الأحباش والفرس عن دولتهم. ويذكر بعض المؤرخين أنهم وصلوا في فتوحاتهم إلى أوربا والهند والصين غير أنه لم يعثر على آثارهم لعدم وجود وثائق تاريخية حول هذه الفتوحات[١٦]. كما قد عبر الحميريون البحر الأحمر وسيطروا على بلاد الحبشة في القرن الثاني قبل الميلاد، ونشروا الثقافة العربية والسامية بين أهلها.

ومن أشهر ما خلفه الحميريون قصور اليمن، وأعظم هذه القصور قصر غمدان في صنعاء وقد بناه ملكهم " الشرحا " في القرن الأول قبل الميلاد والذي ما يزال قائماً حتى الآن. ويعد هذا القصر معجزة فنية حيث أعتبره بعض المؤرخين (أول ناطحة سحاب حيث تألف من عشرين طبقة مبنية من الجرانيت والمرمر والرخام)[١٧]. وقد اشتمل هذا القصر على تماثيل لخيول وفرسان وبغال محفورة جميعها من المرمر. على أن هذه التماثيل كانت تنم عن بدائية في التشكيل وكانت تفاصيل الجسم مهملة تماماً فقد برع الحميريون في الصناعات اليدوية وقد تركوا أرثاً كبيراً من التماثيل الرخامية والتحف المعدنية، فضلاً عن ذلك (فقد ضرب الحميريون المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية على الخط

الأغريقي وهمشوا بالأحرف اللاتينية وكانت نقودهم تحوي على صور لملوكهم وعلى الطرف الآخر صورة البومة أو النسر أو الهلال)[١٨].

ومن الجدير بالذكر أن دولتهم الأولى أنتهت على (أثر أستيلاء الرومان بقيادة أيليوسفالوي لتقوم دولة حمير الثانية في سنة ٣٠٠م، وكان ذلك بعد أستقلالهم من الأحباش. ومن ملوك هذه الدولة وحسب ما ذكرتهم الآداب الإسلامية " تبع " وكذلك " شمر يرعش "، وأمتازت هذه الفترة بدخول الديانتين اليهودية والنصرانية إلى اليمن)[١٩].

وقبل أن ينهي الباحث موضوع الفن في الجزيرة العربية لابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من رجوع تأريخ النقوش المعينية وغيرها إلى بداية الألف الأول (ق.م)، ولكن مما لاشك فيه (أن حضارة قديمة عربية نشأت في اليمن ترتقي إلى أبعد من هذا التأريخ حيث تضمنت بعض النقوش إشارات مهمة إلى اتصالات قامت مع البابليين ومع الكنعانيين والأموريين يرجع تأريخها إلى الالف الثاني قبل الميلاد)[٢٠]. وقد ذهب بعض الباحثين إلى احتمال قيام مملكة عربية مهمة في بلاد معين أمتدت إلى الحجاز. ولعلها كانت في أزدهاء في زمن الأكديين في العراق وأن " نرام سين " الفاتح الأكدي المشهور قد كانت له علاقات مع هذه المملكة، ولعل من أهم طرق الاتصال التجاري الطريق الذي يقطع بلاد العرب عن طريق مكة وجبل شمر حتى بلاد بابل ... ويحتمل أن الاتصال بين وادي الرافدين وبين بلاد اليمن كان يجري عن طريق بحري المول مسافة يأتي من فطون (البحري). وكما هو معروف أن طريق القوافل التجارية كانت تبدأ من مريابه (مأرب) عاصمة سبأ وتستمر شمالاً بموازاة البحر الأحمر تقريباً إلى تيماء. وكانت تيماء من المراكز التجارية المهمة ومنها تتحرك القوافل متجهة شمالاً إلى البتراء

ودمشق وتدمر وأخرى تتحرك نحو سيناء فحصر ويتجه طريق ثالث إلى العراق[٢١].

النحت في اليمن

شهدت المنطقة الجنوبية في شبه الجزيرة العربية حضارات متعددة ترك فيها الفنانين أرثاً كبيراً من الأعمال الفنية التي اتصلت أتصالاً وثيقاً بمعتقداتهم الدينية والاجتماعية (وقد عثر على رسوم صخرية منتشرة في أرجاء الجنوبية العربية تعود لأزمنة تاريخية قديمة، تحمل دلالات رمزية لنساء ورجال بوضعيات مختلفة)[٢٢]. أما النقوش والزخارف فقد كان أغلبها تزينياً ومعظم موضوعاته عبارة عن عناصر هندسية أو نباتية أو حيوانية وجميعها كانت بدائية تمثل أصحاب القصور، وتعبر عن مشاهد الصيد كصور طيور الباز وهي تنقض على الأرانب وأسراب الظباء ترد الماء، على أن هذه الرسوم لم تكن ملونة على الغالب.

أما في ميدان النحت فقد تنوعت الأعمال النحتية التي خلفها النحات العربي القديم، والتي امتازت بحسها المرهف الذي ساعد على خلق الصيغ التعبيرية المؤثرة في النفس، فجاءت التماثيل الحجرية والبرونزية المدورة والبارزة بأشكالها الآدمية والحيوانية في إطارها الفني متجاوبة وطبيعة الظروف الأجتماعية والسياسية لتمثل مزيجاً حضارياً يتجاوب ومرحلتهم التاريخية.

فالمنحوتات المرمرية للقرن الثاني للميلاد قد أظهرت تأثراً واضحاً بالأساطير والأفكار الدينية التي كانت سائدة خلال الفترة الهلنستية والرومانية ويبدو ذلك واضحاً من التماثيل المعدنية حتى القرن الخامس عشر[٢٣].

ويلعب الوازع الديني دوراً كبيراً في أعمال النحت عند الفنان اليمني الذي حاول التقرب من آلهته سعياً نحو كسب رضاها ولتحقيق السعادة والأطمئنان

النفسي. وقد شكلت فكرة حياة ما بعد الموت معتقداً راسخاً في معتقداتهم، والتي على أساسها بنيت المقابر وزخرفت، لإيمانهم بأهمية الحياة الثانية وتفضيلها على حياتهم الأولى. لذا جاءت أعمالهم النحتية مجسدة لأشخاص بوضعيات الوقوف أو الجلوس مع رفع الأيدي في خشوع ووقار وتعبد، وذلك لاسترحام الآلهة. كما رافقت هذه المنحوتات كتابات بخط المسند (تذكر أنها قدمت من قبل أشخاص طلباً للشفاء والرحمة أبتغاء مرضاة الآلهة، أو لاستجلاب الخير والبركة لمقدمي تلك النذور والقرابين)[٢٤].

لقد أبتعد الفنان في أعماله النحتية عن تجسيد المعطيات الحسية المباشرة للطبيعة سعياً نحو أظهار نزعته الذاتية في رؤية الأشياء والنفاذ إلى باطنها. ولذا فهو يربط فنه بغاية دينية سواء بتقديس الموتى أو تقديس القوى المعبودة.

وسنحاول في الصفحات التالية استعراض نماذج نحتية تعكس طبيعة فن النحت في حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) قبل الإسلام.

١) تمثال لأمرأة متعبدة

ومن بين معثورات بعثة " ويندل فيلبس " تمثال لامرأة من الحجر الجيري وجد في مأرب بارتفاع(١٦،٥)سم وعرض (٦،٥)سم أعتبره الأستاذ " البرايت " من أهم ما أكتشفته البعثة بعد تمثال السيدة (مريم) شكل (٢).

وكان للتمثال ملامح تدلل على أنها سيدة من أسرة نبيلة من أسر (قتبان) القديمة تجلس على دكه أو صخرة بوضع تعبدي، فالرأس صغير ومدور، وقد كشفت معالم الوجه عن أنف طويل مع شق صغير أفقي في أسفله للتدليل على الفم. أما العينان فكانتا أشبه بحزين أفقيين تعلوهما أجفان عريضة. وقد حاول الفنان إبراز معالم الرأس بأن غطى واجهة الجبهة وجانبي الوجه وخلف الرأس بتركيبة من الشعر.

وقد ارتبط الرأس بالبدن برقبة غليظة اشبه بالاسطوانة. ويظهر العضدان ملتصقان بالجسم،وقد امتد الساعدان نحو الأمام وقد كسر الساعد الايسر، اما الايمن فقد امتد لينتهي بكف مقبوظة الاصابع. وقد برز الثديان ببروز خفيف عن الصدر. اما الساقان فقد كانتا قصيرتان بارزتين بهيئة عمودين لينتهيان بقدمين ذات اصابع قصيرة.

ويكشف النحات عن الغاية التي من اجلها صنع هذا التمثال والذي جاء معبراً عن طبيعة العادات المتبعة انذاك، وطبيعة الهدايا التي كانت تقدم للاموات وللالهة. وقد انتخب الفنان مفردته المرئية لخدمة هذا الطقس الديني بان اضفى طابع الهدوء الممزوج بالرهبة والخوف مستخدماً الترميز كوسيلة للتعبير عن صلاة طقوسية.

٢)تمثال معد يكرب

عثر في معبد " أوام " بمأرب في المدخل المؤدي إلى حرم بلقيس على تمثال لرجل يمشي من البرونز ارتفاعه (٩٣) سم وعرضه (٢٧) سم يدعى (معد يكرب)، بالأستناد إلى الكتابات المسندة التي امتدت على جانبي الكتفين حتى أسفل الركبة اليمنى، شكل (٣) .

جسد هذا التمثال شخصية الملك (معد يكرب)، وقد ترك الجزء الأعلى من الجسم عارياً ألامن قطعة من جلد لأسد أو فهد لف على الظهر وأتصل طرفاها بالصدر، أما القسم الأسفل فقد لف بمئزر شد حول الجسم بحزام عريض ثبت فيه خنجراً من الأمام. وقد التف الشعر المجعد حول الراس المدور قد تدلى طرفاه بحافات مستديرة موزعة على شريطين في الجانبين. وجعل للرجل لحية مجعدة التفت على شكل عقد. أما العينان فكانتا لوزيتا الشكل وواسعتين، والأنف كان كبيراً والفم صغير. أما الجسم فقد أمتاز بكتفين عريضين مع ذراعين

مرفوعتين عند المرفقين، والجسم بوجه عام في وضع حركة حيث تقدمت القدم اليسرى نحو الأمام. والجسم نحيف على العموم.

أن الأسلوب النحتي لهذا التمثال جاء متأثراً والى حد بعيد بفن النحت المصري القديم وبخاصة (أعمال طائفة كهنة سم التي كان أفرادها يقومون بطقوسهم الجنائزية أيام جثة الميت، وقد التف حول اجسادهم جلد الأسد)[٢٥].

لقد ابتعد الفنان في تجسيده لهذا التمثال عن المحاكاة الواقعية للصورة الطبيعية بأن أخضع الشكل لصرامة وصلابة بدت واضحة بوضعية الجسم المتحركة، ليبعده بذلك عن وضعية الوقوف الجامدة.

وكما هو معروف أن التماثيل التي تمثل شخصية الملك وأفراد الطبقة المتنفذة التي تملك زمام السلطة والحكم قد اتخذت من الفن وسيلة لخدمة مصالحها الأنانية في إشاعة الولع بالترف والبذخ والأبهة.

٣)تمثال امرأة جالسة

تمثال لأمرأة من الحجر الجيري وجد في موقع مأرب يتراوح ارتفاعه (٢)سم وعرضه (٨)سم وسمكه (٦)سم، الشكل (٤).

ويصور هذا التمثال امرأة جالسة بوضع تعبدي، وقد كشفت معالم الوجه العريض عن عينين كبيرتين وأنف طويل وفم صغير أشبه بشقين مطبقين. وقد التف الشعر حول الرأس بتركيبة ملتوية لينسدل خلف الرأس. وتمتد الرقبة الغليظة والقصيرة بشكلها الأسطواني من أسفل الوجه لتندمج مباشرة بالبدن الذي غطى بثوب طويل مفتوح عند الرقبة، تمتد على طول الثوب خطوط طولية بشكل حزوز غائرة ومتموجة تنتهي بحافة المقعد السفلية. وقد مثل الثديان ببروزين خفيفين عند منطقة الصدر. ويظهر العضدان ملتصقان بكتلة

الجسم وقد تحور الساعدان ليمتدا إلى الأمام وينتهيان بكفين مقبوضتين الأصابع وكأنهما في حالة تسبيح. ويتخصر الثوب عند منطقة الساقين وفي نهايته تبرز أصابع قدم قصيرة ومحززة.

لقد أخضع الفنان الشكل لخدمة غرضه الروحي من خلال صياغة جديدة تتوافق والأجواء الدينية. وبالرغم من أن الفنان قد حاكى النسب التشريحية لجسد المرأة ألا أنه أنتخبها أنتخاباً بما يتلائم وضرورات الصلات والتضرع والعبادة. وقد برع الفنان في إبراز معالم الجسم الخارجية التي امتازت بليونتها واستدارة الوجه والأيدي وعموم أجزاء البدن.

ومن المظهر الخارجي للمرأة فأن هذا التمثال يوحي بأنه يعود لامرأة من العائلات الراقية قدمت كقربان أو نذور للآلهة.

٤)تمثال رجل

وقد عثر في مأرب على نحت بارز لرجل من المرمر ارتفاعه (٤٤،٥) سم والعرض (٢٧)سم، شكل (٥). تظهر فيه صورة لرجل يؤدي تحية. وقد حاول الفنان ابراز معالم الرأس بأن أظهر كتلة من الشعر على شكل نتوءات بارزة أشبه بالخرز ربما أراد بها الفنان ابراز عنصر تزييني، او يعبر عن طبيعة شعر صاحبها المجعد. أما معالم الوجه فقد برز الأنف ضخماً، والفم كبير والعين كانت لوزية الشكل وكبيرة تتوسطها حدقة صغيرة، والأذن صغيرة بالنسبة إلى حجم الرأس وبعيدة قليلاً عن وضعها الطبيعي. أما الوجه فقد كان حليقاً وهذا يدلل على أن بعض الناس كانوا يحلقون لحاهم في تلك الأيام. وقد غطى الجسم بقميص كان مفتوحاً من الأمام ينتهي عند الركبتين يلتف حول الجسم من اليمين إلى اليسار وقد شد عند الخصر بحزام عريض استقر فيه الخنجر بشكل مستقيم. وقد مدت اليد اليمنى إلى الأعلى وظهرت

أصابع الكف واضحة ومنفصلة عن بعضها وكأنه يؤدي تحية. أما اليد اليسرى فقد التصقت بالبدن وأنثنت عند الساعد إلى الأعلى قليلاً وكفه كان قابضاً ممسكاً بالخنجر. أما الساقان فكانتا قصيرتان وقد حاول المثال أبراز عضلاتها لتنتهي بقدمين اليمنى بوضع جانبي أما الأخرى فكانت أمامية بدون أي تفاصيل لأصابع القدم.

الجسم بشكل عام لايتناسب وضخامة الرأس والرقبة والكتفين ويبدو تأثير الفن الرافديني واضحاً في الأسلوب النحتي لهذا التمثال بوقفته التي اتخذت الوضع الأمامي في حين ان الرأس جاء بوضع جانبي.

لقد اعتمد الفنان في ابراز خطوطه وسطوحه بأبسط تمثيل، فحرر شكله من عناصر المحاكاة الواقعية للصورة المرئية ليصعد من حدة التعبير بان يكشف عن الصرامة والصلابة التي بدت واضحة على معالم الوجه الجانبي.

٥) رأس رجل عربي

عثر في مأرب على نحت بارز لوجه رجل من الرخام ارتفاعه (٢٨) سم وعرضه (١٨) سم، شكل (٦).

تجسد هذه المنحوتة وجه لرجل برأس بيضوي ممتلئ برزت معالم عيناه وحاجباه بطريقة الحفر، حيث بدت العينان واسعتان تتوسطهما حدقتان على شكل حفرة فارغة فبدت وكأنهما قلعتا، وقد برز الحاجبان واضحان. أما الأنف فلم يوليه الفنان اهتمامه في إبراز تفاصيله ومعالمه حيث أرتفع باستقامة حادة ليلتقي مع أمتداد الحاجبان، في حين جاء الفم صغيراً ومفتوحاً، ولم يستطيع الفنان من حفره حفراً يقارب الطبيعة. وقد راعى الفنان صقل كل من الجبين والوجنتين فبانتا متساويتان. وقد غطى الفنان الرأس بالشعر واوصل اللحية التي

جاءت على شكل هلال بشعر الرأس، حتى أحاط الشعر بالرأس والوجه وصار أشبه بالهالة.

يتضح لنا من العرض اعلاه أن النحات استطاع أن يسخر مفردته لخدمة الشكل الروحاني، حيث أستل الفنان من الظاهرة المرئية صورته الذهنية بغية محاكاة الحدث الطبيعي مع الأختزال والتبسيط الشديد في الخطوط والسطوح. لقد انتخب الفنان من الأوصاف أبسطها وأكثر شبهاً ليضفي قيمة تعبيرية أوحت بالهدوء والسكينة.

٦) تمثال أمرأة

وجد في مأرب نحت نصفي بارز لأمرأة من المرمر ارتفاعه (٣٠) سم وعرضه (٢٠)سم وسمكه (٧) سم، شكل (٧).

تجسد هذه المنحوتة شكل نصفي لأمرأة تظهر برأس مدور تعلوه ضفيرة من الشعر، وتكشف معالم وجهها عن حاجبين برزا بطريقة الحفر أما العينان فكانتا متوسطتا الحجم تتوسط كل عين حدقة دائرية فارغة، ويبرز فم صغير ينم عن ابتسامة رقيقة. وحول العنق تزينت المرأة بطوق مكون من صفين من الفصوص الصغيرة المتجاورة.

ترتدي المرأة ثوباً بأكمام طويلة وذو فتحة مستديرة عند الرقبة، يبرز هذا الثوب تفاصيل الجسم. أما الذراعان فتلتصقان بالبدن، تنثني اليد اليمنى عند المرفق لتنتهي بقبضة اليد ممسكة بكومة من سنابل القمح، أما اليد الأخرى فترتفع إلى الأعلى بكف مبسوطة للأمام تظهر الأصابع فيها متراصفة وعلى شكل حزوز.

لقد جاء هذا التمثال في صياغته الفنية أقرب إلى الواقع بعيداً عن التعقيد، حيث أتخذ شكل المرأة بانحناءاتها عند الرقبة والكتفين والأيدي ليدلل على معنى

رمزي له أرتباط بالقوى العليا. وقد شدد الفنان على الخط الدائري عند أسفل المرفقين ومحيط البطن المقوس والمكون من خطين أشبه بالهلال الذي عده النحات بمثابة أرضية يبرز عليها الشكل الأنثوي. وقد كتب في أسفل العمل كتابات بخط المسند، (وتنص هذه الكتابات على أن هذا العمل يرمز إلى آلهة الشمس " حميم" وكل ماله علاقة بالمطر " مطرم " المتصل بالخير والزراعة بدليل وجود {حزمة السنابل})[٢٦].

لقد اختار الفنان مفردته مجسدة بالشكل الأنثوي، التي وجد فيها رمزاً للخصوبة والتكاثر. وقد دأب على أبراز الصورة الفنية التعبيرية بأن جسد المرأة في حالة من الثبات والوقار تمثل باليد المبسوطة والمتوجهة للأمام لتوحي بفكرة تعبيرية تعبر عن الجوهر الروحي للمتعبدة، فهي بحركتها هذه وكأنما تستقبل زوارها المتعبدين بابتسامتها الرقيقة وعينيها الوديعتين بنظرة معبرة وثاقبة.

النتائج

توصل الباحث إلى النتائج الآتية

١-أن الفن العربي قبيل ظهرو الإسلام (النحت خاصة) والذي وجدت نماذج منه في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، مثل قمة التطور الفني، إذا ما قورن بمثيلاته في البلدان المتاخمة، بل ويمكن أن نقول أنه يفوقها من حيث دقته وتناسقه والذي يعكس مقدرة الفنان على التعبير عن رؤيته الواضحة والفاحصة للبيئة المحيطة به.

٢-جاءت أغلب المنحوتات التي ظهرت في مأرب (اليمن) متفقة من حيث الصياغة العامة مع ما جاء لمثيلاتها من حضارات العالم القديم الواقعة ضمن الأمتداد أو الرقعة الجغرافية أو القربة منها، ويعود ذلك إلى ما كان لهذه المنطقة العريقة لجزيرة العرب بشكل عام من صلات تجارية وأحتكاك أدى بطبيعته إلى تمازج الثقافات فيما بينهما.

٣-عكس الشكل الفني للمنحوتات بشكل فني رائع عكس الصيغة العالية التي جمعت بين بدائية الشكل البشري وواقعيته حيث ركز النحات على ابراز وتكبير حجم الرأس والوجة بأذان بارزتان وعينان غائرتان اومحزتان مقارنة بباقي اجزاء الجسم التي أهمل فيها النحات النسب التشريحية لأعضاء الجسم من حيث الميل إلى التبسيط والأختزال والحذف في ابراز التفاصيل العامة للشكل.

٤-أنه بحكم ما عرف عن سكان شبه الجزيرة العربية (اليمن) من أصالة وأبداع في مجالات الفنون جميعاً وتوصلهم الحضاري والثقافي والفكري وأحتكاكهم مع المراكز الحضارية المجاورة الذي ساعد على تناقل التأثيرات الفكرية

والفنية لحضارات رومانية وهلنستية مما شاهدوه وحملوه منها واليها، ألا أن الفنان العربي لم يتخلى عن شخصيته الفنية، بل سعى دؤوباً نحو توطيد دعائم اسلوبه الفني العربي.

٥- لعبت العقيدة الدينية دورها في إثارة مخيلة النحات اليمني من حيث اختزاله لمعالم اشكاله وتحويره للواقع بما يبعد عن تشبيه الشيء بذاته وقد ظهر ذلك جلياً في بعض أشكاله الأدمية بحركتها التي أتخذت وضعيات الوقوف أو الجلوس واليدين ممتدتين إلى الامام على حد سواء، فضلاً عن معالم الرأس والوجه التي جاءت معبرة عن غايات طقوسية واحتفالية.

٦-لقد اتخذ نحات مأرب تصوراته من الواقع، لذا فقد شكلت غالبية المنحوتات مشاهد متنوعة من الحياة، إلا أنه تجاوزمحاكاة الاشكال بصيغتها الواقعية بحثاً عن الصورة الذهنية للشكل المرئي والذي شيد في ضوء خبراته التي أعانته على انشاء صورة واستبصاراتها العقلية لتدلل على الأشياء. والأفكار عنده تنهض بمهمة تعبيرية تتسامى روحيا بعناصر الشكل لتتجاوز صورها الواقعية المشخصة.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. الأنصاري، عبد الرحمن الطيب: " قرية الفاو " صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الرياض، ١٩٨٢.

٣. باسلامة، محمد عبد القادر: النحت والنقش في اليمن القديم، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥.

٤. بافقية، محمد عبد الباقر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بلا.

٥. باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦.

٦. البكر، منذر عبد الكريم: دراسات في تأريخ العرب قبل الإسلام، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، البصرة، ١٩٩٢.

٧. بهنسي، عفيف: الفنون القديمة، ط١، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٨. توفيق محمد، آثار معين من جوف اليمن، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥١.

٩. حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

١٠. خان، مجيد: الرسوم الصخرية لما قبل التأريخ في شمال المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للآثار والمتاحف السعودية،١٩٩٣.

١١. ديورانت، ول: قصة الحضارة، ت: فتح الله محمد المشعشع، ط١،منشورات مكتبة المعارف مصر – بيروت، بلا.

١٢. سالم، السيدعبد العزيز: تأريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، بلا.

١٣. سيد، عبد المنعم عبد الحليم: " الأصول القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الأسلام "، ط١، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤.

١٤. الصفدي، هشام و آخرون: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي ، ط١، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٨.

١٥. العميد طاهر مظفر: الآثار الإسلامية والتطور: دراسة في تطبيقات العمارة وتخطيط المدن الإسلامية، المؤرخ العربي، العدد (٤)، بغداد، ١٩٨٩.

١٦. Cresswell, K. A. C. A short Account of Early muslim Architecture, London, 1958.

١٧. Hommond, ph. " The Goddles of the Temple of the Winged Lions Petra Jordan ". Petra and Caravan Cities Fawzi Zayadine (Editor), Department of Antiquities, (Amman, 1990).

الهوامش

1) القران الكريم: سورة البروج، اية ٤.

٢) بافقية، محمد عبد الباقر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بلا، ص ٣٢.

٣) سالم، السيد عبد العزيز: تأريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، بلا، ص ١٢٥.

٤) بافقية: مصدر سابق، ص ٣٣.

٥) سالم، السيد عبد العزيز: مصدر سابق، ص ١٢٨.

٦) البكر، منذر عبد الكريم دراسات في تأريخ العرب قبل الإسلام، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، البصرة، ١٩٩٢، ص ١٨٣.

٧) بافقية: مصدر سابق، ص ٣٩.

٨) بافقية: مصدر سابق، ص ٤٢.

٩) البكر: مصدر سابق ، ص ١٩٤.

١٠) بافقية: مصدر سابق، ص ٤٨.

١١) سالم: مصدر سابق، ص ١٣٣-١٣٤.

١٢) ديورانت، ول: قصة الحضارة، ت: فتح الله محمد المشعشع، ط٦، منشورات مكتبة المعارف، مصر – بيروت، بلا، ص ٨-١٠.

١٣) سالم: مصدر سابق، ص ١٣٧-١٣٨.

١٤) سالم: مصدر سابق، ص ١٤٠.

١٥) الصفدي، هشام وآخرون: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٦٧.

١٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

١٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

١٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

١٩) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

٢٠) باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ط٢، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٩٥.

٢١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

٢٢) خان، مجيد: الرسوم الصخرية لما قبل التأريخ في شمال المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، السعودية، ١٩٩٣، ص ٥.

٢٣) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب"قرية"الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام، جامعة الرياض ١٩٨١، ص ٣١.

٢٤) حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٢٥) سيد، عبد المنعم عبد الحليم: "الأصول القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام"، الكتاب الثاني ط١، جامعة الملك سعود، ١٩٨٤، ص ٣٨١.

٢٦) باسلامة، محمد عبد الله محمد: النحت والنقش في اليمن القديم، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥.